العلاقات الحضارية بين الذات والآخر في رحلة الرابي بنيامين بن يونة التطيلي النباري الأندلسي

Les relations civilisationelle entre soi et l'autre dans le voyage du rabbin Benyamin Ibn Yona Al-Tatili (Benjamin de Tudela)

د. عبد الحق بلقيدوم[1]، مخبر الأدب العام والمقارن، جامعة باجي مختار، عنابة (الجزائر)، BELGUIDOMA@YAHOO.COM

تاريخ الاستلام: 10 / 02/ 2021 تاريخ القبول: 04/ 05/ 2021 تاريخ النشر: 30 / 06/ 2021

ملخص

شكل الشغف بالعالم خارج مملكة الإسلام محركا للرحالة المغاربة القدامى، حذا بهم إلى اختراق المسافات لاكتشاف هذا العالم ومعرفة ساكنيه؛ فقد كانت الأندلس بيئة خصبة لتطور الوعي الهويَّاتي، فنبغ منها رحالون قاموا برحلات ودونوها في فترات من التاريخ شكلت منعطفات حاسمة في مسار ومصير سكان مملكة الإسلام، خاصة من جانب الصراع المحتدم على الهويَّة.

لذلك سيسلط هذا البحث الضوء على واحد من أهم الرحالين الأندلسيين، قام برحلة في ظرف تاريخي حرج طبع رحلته بطابع الهويَّة، وانقسمت الرؤية فيها بين وعي الذات ووعي الآخر؛ ذلك هو الرابي بنيامين بن يونة التطيلي (ت569هـ)، الذي خرج من الأندلس في رحلته إلى المشرق، غداة سقوط مدينة سرقسطة بأيدي المسيحيين الإسبان، بعد أن كان ينعم فيها هو وبنو جنسه من اليهود بطيب العيش في كنف الحكم الإسلامي. لقد تجشم الرحالة في هذه الرحلة المشاق، وركب الصعاب لاستطلاع أحوال إخوانه من اليهود المشتتين في البلدان، تنقيبا عن المستقر الآمن، بعد تهاوي دولة الأندلس وسقوط مدنها الواحدة تلو الأخرى، فعبَّرت هذه الرحلة بوضوح عن جدلية العلاقات الحضارية بين الشعب اليهودي وبقية الشعوب الأخرى التي تمكن الرحالة من معاينتها.

الكلمات المفتاحية: العلاقات الحضارية، الذات، الآخر، الرحلات، مملكة الإسلام.

Résumé :

La passion pour découvrir le monde en dehors du royaume de l'Islam fut une motivation pour les anciens voyageurs maghrebins. L'Andalousie était un environnement fertile pour le développement de la conscience identitaire, dont il y avait des voyageurs qui faisaient des voyages et les écrivaient dans des périodes de l'histoire qui constituaient des moments décisifs dans le cours et le destin des habitants du Royaume de l'Islam, en particulier du conflit qui fait rage sur l'identité.

Par conséquent, cette recherche mettra en lumière l'un des voyageurs andalous les plus importants, qui a fait un voyage à un moment historique critique qui a marqué son voyage avec le caractère de l'identité, dont la vision en elle était divisée entre la conscience de soi et la conscience de l'autre. C'est le rabbin Benyamin Ibn Yona al-Tatili (Benjamin de Tudela mort en 569 Hijri), qui a quitté l'Andalousie pour son voyage vers l'Est, au lendemain de la chute de la ville de Saragosse aux mains des chrétiens espagnols, après que lui et sa race de juifs aient eu le plaisir de vivre dans le Royaume de l'Islam. Le voyageur a traversé des épreuves pour explorer les conditions

de vie de ses compatriotes juifs dispersés dans le monde, à la recherche d'un endroit sûr, après l'effondrement de l'État d'Andalousie et la chute de ses villes une par une, de sorte que ce voyage a clairement exprimé la dialectique des relations civilisationelle entre le peuple juif et le reste des autres peuples.

***Mots clés** : relations civilisationelle, le soi, l'autre, les voyages, le royaume de l'islam*

[1] **المؤلف المرسل**: بلقيدوم عبد الحق، **الإيميل**: BELGUIDOMA@YAHOO.COM

مقدمة:

شكل الشغف بالعالم داخل مملكة الإسلام[1] وخارجها محركا للرحالة المغاربة القدامى، حذا بهم إلى اختراق المسافات لاكتشاف هذا العالم ومعرفة ساكنيه. وقد نبغ من الرحالين المغاربة الأندلسيون بصفة خاصة؛ ذلك أنهم كانت لهم استقلالية واعتزاز بشخصيتهم الأندلسية، فضلا عن مغربيتهم التي كانت ترفض الإقصاء المشرقي، فقد كانت الأندلس بيئة خصبة لتطور الوعي الهوِيَّاتي، سواء بالنظر إلى التاريخ (انبعاث الدولة الأموية فيها بعد سقوطها في المشرق)، أو بالنظر إلى الجغرافيا (انقطاعها عن أقاليم مملكة الإسلام وتشكيلها جزيرة منفردة). وفضلا عن هذا السبب أو ذاك، فقد نبغ منهم رحالون قاموا برحلات[2]، ودونوها في فترات من التاريخ شكلت منعطفات حاسمة في مسار ومصير سكان مملكة الإسلام، ومثلت هذه الرحلات لغيرها منارات شاهدة على أحداث عِظام في تاريخ المملكة، خاصة من جانب الصراع المحتدم على الهوِيَّة بصفة خاصة.

لذلك فإن هذا البحث سيسلط الضوء على واحد من أهم الرحالين الأندلسيين، ارتحل في منعطف تاريخي حرج طبع رحلته بطابع الهوِيَّة الناتئ والجلي، وانقسمت الرؤية فيها بين وعي الذات ووعي الآخر؛ ذلك هو الرابي بنيامين بن يونة التطيلي النباري الأندلسي (ت569هـ)، الذي خرج من الأندلس في رحلته إلى المشرق، غداة سقوط مدينة سرقسطة بأيدي المسيحيين الإسبان، بعد أن كان ينعم فيها هو وبنو جنسه من اليهود بطيب العيش في كنف الحكم الإسلامي. لقد عبَّرت رحلة بن يونة التطيلي بصدق عن مقولة "اليهودي التائه"، إذ تجشم فيها الرحالة الأندلسي المشاق، وركب الصعاب لاستطلاع أحوال إخوانه من اليهود المشتتين في البلدان، وتنقيبا عن المستقر الآمن، بعد تداعي دولة الأندلس وسقوط مدنها الواحدة تلو الأخرى، كما عبَّرت الرحلة كذلك عن جدلية العلاقات الحضارية بين الشعب اليهودي وبقية الشعوب الأخرى التي تمكن الرحالة من معاينتها.

1-التعريف بالرحالة:

هو الرابي بِنيامِين بن يُونَة اليهودي (ت569هـ)، والرابي لدى اليهود هو الوجيه والمتقدم في العلم، ويقال له أيضا: الرَّبَن، قال الزبيدي في "تاج العروس": "الرَّبَنُ المتقدم في شريعة اليهود"[3]، والمقصود به "الحاخام". ولد ابن يونة بمدينة "طليطلة" (Tudela) بشمال الأندلس فنُسب إليها، أما "النباري" فنسبة إلى "نبارة" (Navarre) وتسميها العرب "نَبَرة". وتاريخ ميلاده مجهول، ولا أحد يعرف عن سنوات حياته الأولى قبل الرحلة شيئا، وخلافا لما يذهب إليه الباحث خليل أحمد الزركاني، من أن غير اليهود أطلقوا عليه "لقب الحاخام (راباي) على الرغم من عدم وجود ما يثبت هذا اللقب عليه من جانب العلم والمعرفة والتبحر في الديانة اليهودية"[4]؛ فإن ناسخ الرحلة الذي قدم لها يقول صراحة: "والرابي بنيامين من الثقات العارفين بالتوراة والشريعة"[5].

ومهما يكن من أمر، فإن الظاهر أن ابن يونة كان ذا مكانة في قومه، ولعله انتُدِب لأجل ذلك لهذه الرحلة لإحصاء أعداد اليهود، ومعاينة أحوالهم في ممالك العالم، واستقصاء أكثر هذه الممالك أمْنًا بالنسبة لليهود الأوروبيين، الذين يعانون من الاضطهاد في الممالك الأوروبية، خاصة في هذا العصر الذي استعرت به الحملات الصليبية على مملكة الإسلام. وكان خروجه للرحلة من مدينة "سرقسطة" سنة 561هـ، وذلك بعد خمسين عاما من سقوط هذه المدينة بيد الإسبان، "وكانت سرقسطة هي آخر القواعد التي سقطت في يد المرابطين، واستمرت في أيديهم إلى أن حاصرها النصارى، ومن ثم سقطت في أيديهم (512هـ-1118م)"[6].

2-رحلته:

خرج ابن يونة في رحلته من "سرقسطة" سنة (561هـ-1165م)، بغرض التعرف على أحوال إخوانه من اليهود في مختلف ممالك العالم، وعاد إليها سنة (569هـ-1173م)، وهو العام الذي توفي به على أرجح الأقوال. ورغم أن رحلته شاعت في الدوائر العلمية باسم "رحلة بنيامين بن يونة التطيلي"، إلا أن الباحث خالد يونس الخالدي يذهب إلى أن عنوانها "همساعوت"[7]، ومعناها "الرحلات" باللغة العبرية؛ لأن الرحلة كتبت أصلا بهذه اللغة. ويُرجِّح أنه خرج في هذه الرحلة استطلاعا للملجأ الآمن لليهود في بلاد المسلمين الشرقية، بعد أن سقط شمال الأندلس، بما فيه طليطلة وسرقسطة بأيدي النصارى الذين كانوا يجاهرون بكره اليهود، ولم يتوانوا في استعبادهم. ويرى عزرا حداد أن حوافز الرحلة لدى اليهود في العصور الوسطى لا تزيد على ثلاثة:

أ-العامل السياسي:

كان اليهودي في عُرف العصور الوسطى في أوروبا، مِلكا لأمير الإقطاع يفعل به ما يشاء، فصار بهذا غير آمن على حياته ولا على دينه، فيجد نفسه مخيرا بين أحلى الأمرَّين: إما اعتناق المسيحية، أو أن يتخلى عما في يده ويولي وجهه شطر المجهول بحثا عن الملجأ الآمن، وهو ما يختاره في نهاية المطاف، حرصا على دينه الذي يمثل هويَّته الجامعة؛ "ولما كان الشق الأخير من هذا الخيار المؤلم أكثر ما يؤثره اليهودي، على الرغم مما كان فيه من تضحية تبلغ في أغلب الأحيان الجود بالروح في سبيل المعتقد؛ فإن تعبير (اليهودي التائه) لم يكن في غير محله بالنسبة للجماهير الغفيرة من أبناء هذه الطائفة على شواطئ الرون والسين وضفاف الراين والموزيل"[8].

ب-العامل الديني:

تأثر اليهود بشغف المسلمين إلى المقدسات الدينية، وتجشم الأهوال في سبيل ذلك، وإذا كان المسلمون يتجهون إلى الحجاز لحج البيت بمكة؛ فإن اليهود كانوا يقتحمون المهالك في سبيل الوصول إلى مدينة القدس، والحج إلى بيت المقدس، وزيارة قبور الأنبياء، والوقوف على مقامات الصالحين والأولياء من أسلاف بني إسرائيل؛ "فحج بيت المقدس، وإن لم يعد فرضا دينيا على اليهودي بعد خراب هيكل القدس في القرن الأول للميلاد، فإن اليهودي التقي كان يشعر بلهفة متأججة إلى زيارة أماكن التوراة ومهبط الوحي ومثوى الأنبياء"[9].

ج-العامل الاقتصادي:

كان نظام الإقطاع في أوروبا، في العصور الوسطى، يحرم على اليهودي الأوروبي امتلاك العقارات والأراضي والاشتغال بالزراعة، لذلك فقد اضطر اضطرارا إلى الاتجاه نحو التجارة والحِرَف والمعاملات النقدية، وقد سجَّل الجغرافيون والرحالة المسلمون هذه الملاحظة في مؤلفاتهم؛ وهذا ابن خُرَّدَاذَبَه (ت272هـ) يصفهم في كتابه "المسالك والممالك" بأنهم يتكلمون العربية والفارسية والرومية والإفرنجية والأندلسية والصقلبية: "وإنهم يسافرون من المشرق إلى المغرب، ومن المغرب إلى المشرق برا وبحرا"[10].

ومهما يكن من أمر، فإن ابن يونة خرج في رحلته تأسِّيا بالرحالين المسلمين، الذين كانوا يجوبون الآفاق لاكتشاف العالم ووصف الشعوب، وقد جرى الرحالة في طريقته أقرب ما يكون على طريقة أدباء نمط "المسالك والممالك"[11]، من حيث الاختصار إلا في الأحداث المهمة، أو من حيث ذكر المدن ثم المسالك المؤدية إليها، مع ذكر المسافات بالمراحل والفراسخ أو بالأيام والشهور. أما الرحلة فقد كتبت أول الأمر بالعبرية، ثم نشرت باللاتينية والفرنسية والدانماركية واليونانية والإنكليزية، وأول نسخة عبرية منها طبعت سنة 1543م في

إسطنبول، "وأحسن النسخ هي المنسوبة إلى آشر، وتقع في مجلدين، طبعت في لندن عام 1841م مع ترجمة إنجليزية وحواشي تحقيقية كثيرة"[12]، ثم ترجمها إلى العربية الأستاذ عزرا حداد سنة 1945م.

3-مسار رحلته:

لم يسلك ابن يونة طريق المغاربة التقليدية، "بل سلك طريقا في العدوة الثانية من البحر الأبيض"[13]، فبدأ رحلته من سرقسطة من الشمال الإسباني إلى برشلونة، ثم بيزيه ومونبيلييه من مدن فرنسا، ثم وصل إلى مرسيلية ومنها أبحر إلى مدينة جنوة، ومن هناك إلى روما ثم إلى جنوب إيطاليا، ثم وصل إلى القسطنطينية، ومنها إلى جزيرة قبرص ثم واصل سفره قاصدا إنطاكية، ثم بيروت فصَيْدا فصُور فعكَّا، ومنها إلى أرض فلسطين وبيت المقدس التي كانت تحت الاحتلال الصليبي، ولاحظ الجاليات اليهودية وسجل مهن اليهود، ثم اتجه إلى دمشق فحلب فالموصل، وقضى مدة في بغداد ووصف دار الخلافة، وبعد بغداد انتقل إلى خوزستان من بلاد فارس، ثم نهاوند ومنها إلى همذان فطبرستان فأصفهان وشيراز، ثم انتقل إلى سمرقند، ثم إلى التبت من بلاد الصين. ثم عاد من التبت إلى نيسابور من بلاد فارس، ومنها إلى خوزستان وركب منها في نهر دجلة الذي يصب في بحر الهند فوصل إلى جزيرة قيس، ثم منها عن طريق البحر إلى القطيف، ثم إلى مدينة كولم من بلاد الهند، ثم إلى جزيرة كندي عاصمة جزيرة سرنديب، ثم منها إلى أرض الصين بعد مسيرة أربعين يوم، ثم عاد إلى بلاد البنغال، وبعد مسيرة سبعة أيام وصل إلى خولان من أرض اليمن. ومن خولان سار إلى عدن، ثم أخذ البحر إلى أن وصل أسوان من صعيد مصر عن طريق نهر النيل، ثم يتجه صعودا معه حتى يبلغ مصر، ثم يتجه إلى الإسكندرية، ومنها ركب البحر إلى أن بلغ مدينة مسِّينة بجزيرة صقلية، ثم مدينة بَلِرمو، ثم أخذ البحر حتى وصل روما، ومنها أخذ طريق البر إلى لوكا فدخل ألمانيا، ثم دخل فرنسا حتى وصل باريس، وأخيرا أخذ طريق البر حتى وصل إلى مدينته سرقسطة[14].

4-السياق التاريخي للرحلة:

تعتبر المرحلة التاريخية التي ارتحل فيها بنيامين بن يونة التطيلي صوب المشرق، من أكثر الفترات التاريخية حساسية واضطرابا، سواء في الأندلس أم في المشرق؛ ففي الأندلس تغلَّب النصارى على المسلمين بتعاون ممالكهم واتحادها، وسقطت مدن الأندلس الشمالية كطليطلة (478ه) وسرقسطة (512ه)، "كانت الأحوال التي سبقت هذا التعاون-منذ الزَّلاقة-منذرة بالهلاك وبالفقدان الذي لاحت بوادره مروعة بسقوط مدينة طليطلة"[15]، وذلك بعد تضعضع وحدة الأندلس، مقابل صعود نجم الممالك النصرانية "ليون" و"نافار" و"أراغون"، التي ستشكل مجتمعة مملكة إسبانيا النصرانية.

لم يذخر الإسبان جهدا في انتزاع الممالك الإسلامية من أيدي حكام المسلمين المتنازعين فيما بينهم؛ إما بالإغراء بينهم أو بالحرب عليهم. بقي هذا الغزو مستمرا، فتساقطت ممالك الأندلس تباعا[16] حتى لم يَبقَ من الأندلس غير "مملكة غرناطة" التي استمرت لأكثر من قرنين "الأرض الوحيدة في شبه جزيرة إيبيريا التي ظلت تخضع لسلطان حاكم مسلم على الرغم من الأجزاء المتتالية التي اقتطعت منها"[17]. أما المشرق الإسلامي، فلم يكن حاله بأحسن من حال المغرب؛ إذ طوقته هجمات المغول من الشرق وحملات الصليبيين من الغرب؛ "وقد توافق أول ظهور للمغول في البلاد الإسلامية مع الغزو الفرنجي لمصر من 1218م إلى 1221م. وعندها شعر العالم العربي أنه بين نارين"[18]. وقد بدأ الدعوة إلى الحملات الصليبية القساوسة المسيحيون،

وتلقفها ملوك ونبلاء أوروبا الراغبين في توسيع إقطاعهم من الأراضي؛ متذرعين في ذلك بحماية قبر المسيح (عليه السلام)، وبالتالي استئصال الكفرة المسلمين وحلفائهم من اليهود.

في خضم هذه الأحداث، حين كان النفوذ الإسلامي ينحسر في المغرب، كان السلاجقة في المشرق قد بدأوا يحققون انتصارات متتالية ضد الروم البيزنطيين، ممهدين بذلك للفتح الأكبر الذي سيتلو هذه الانتصارات؛ نقصد بذلك فتح القسطنطينية. لم يتورع المسيحيون الصليبيون في قتل واستعباد اليهود الذين يقابلونهم في طريقهم إلى المشرق الإسلامي، أثناء حملاتهم للاستيلاء عليه، ففزع اليهود من تنامي حالات الاضطهاد ضدهم من قِبَل الأوروبيين الذين استبد بهم التعصب الديني الأعمى. إن الوصف الذي يورده ابن يونة في رحلته لأحوال اليهود تحت ذمة مملكة الإسلام، وما ينعمون به من أمن ورغد العيش، مقارنة مع أحوالهم في ممالك أوروبا وما يعانونه من اضطهاد وشظف العيش، ليدل دلالة لا ريب فيها أن اليهود لم يكونوا ليستبدلوا حياة الاستعباد والاضطهاد تحت حكم الصليبيين بالعيش الآمن تحت حكم المسلمين؛ ففي كل مدينة نصرانية تقريبا، نجد ابن يونة يردد العبارة التالية أو ما يقرب منها: "ويلحق باليهود أذى شديد من سائر السكان"[19]. وعليه فإن كل ما سبق ذكره يجعلنا نجزم بأمرين:

1-أن بنيامين بن يونة التطيلي شأنه في ذلك شأن كل اليهود، لم يَستَطِب العيش تحت حكم النصارى الإسبان؛ خاصة أنه-وإن كنا نجهل تاريخ ميلاده-يُرجَّح أنه كان مخضرما؛ عاش تحت الحكم الإسلامي في "سرقسطة" قبل سقوطها، ثم تحت الحكم النصراني بعد سقوط المدينة، يؤيد هذا قرب المدة الزمنية بين سقوط مدينة "سرقسطة" وبداية الرحلة، فخرج-كما قلنا-لتقصي الملاجئ الآمنة المحتملة للجوء إليها إذا اشتد الأمر على اليهود، خاصة بعد أن عمد هؤلاء النصارى إلى التعميد القسري للمسلمين واليهود[20].

2-أن تفضيل بنيامين بن يونة كتابة رحلته باللغة العبرية بدل كتابتها باللغة الإسبانية، يُفسَّر برأينا-إضافة إلى الرفض الضمني للخضوع لحكم النصارى-على أنه وفاء للعهد الإسلامي؛ خاصة إذا علمنا أن اليهود تحت الحكم الإسلامي لم يُمنَعوا من الكتابة بالعبرية، وفي الأغلب الأعم كتبوا رحلاتهم باللغة العربية[21]، فإذا تعذرت الكتابة بالعربية، فالأَوْلى كتابتها باللغة العبرية؛ اللغة القومية، ويدعم هذه الفرضية سلوك ابن يونة مسلك الرحالين المسلمين في كتابة رحلته، وعلى طريقة "المسالك والممالك"؛ حتى إننا لنجد أحيانا تشابها في نصوصه مع نصوص بعض الرحالة المسلمين، يصل حد التطابق[22].

فإذا أضفنا إلى ما سبق، احتفاء ابن يونة بمدن المشرق الإسلامي؛ خاصة حاضرة الخلافة العباسية ببغداد، وما أفاض فيه من إعجاب باهتمام الخلفاء المسلمين باليهود وتقدير كبرائهم، أدركنا بالتالي أن الرحالة بنيامين بن يونة التطيلي لا يمكن إلا عدّه واحدا من أواخر الرحالة الأندلسيين المخضرمين، كان شاهدا على مرحلة تاريخية حرجة، انتقل فيها الحكم والسلطة من المسلمين إلى النصارى بالأندلس، وعاش بالتالي ذلك التمزق الذي عرفه كل من اجتُث من محيطه الحضاري إلى محيط جديد مفعم بالمجهول والمخاوف والقلق.

5-مضامين الهوِيَّة في الرحلة:

إن أول ما ينبغي معرفته، قبل التنقيب عن مضامين الهوِيَّة لدى الرحالة بنيامين بن يونة التطيلي، هو معنى الهوِيَّة اليهودية، وفي هذا السياق يرى الباحث عبد الوهاب المسيري أن مصطلح "هوِيَّة يهودية" يعني "أن ثمة جوهرا يهوديا ثابتا يَسِم أعضاء الجماعات اليهودية أينما كانوا ويمنحهم شخصيتهم اليهودية المحددة، ويفرِّقهم عما سواهم من البشر"[23]. وبناءً على هذا يمكن ملاحظة هذه الميزة منذ الوهلة الأولى في رحلة ابن

يونة، وذلك في أمرين إثنين؛ فعلى خلاف الرحالين المسلمين الذين يزاوجون بين التقويم الهجري والتقويم الميلادي في تسجيل يوميات أسفارهم، يفاجؤنا ابن يونة باعتماد التقويم العبري، حين يقول: "وعاد بمعلوماته هذه إلى قشتالة سنة 4933 العبرية"[24]، أما الأمر الثاني، فهو اعتماده على التسميات التوراتية للمناطق والمدن، خاصة المشرقية منها، كالعراق الذي يسميه "شنعار".

لا يختلف ابن يونة في تناوله لمواضيع الهوِيَّة عن الرحالة المسلمين في شيء؛ فكما تراوحت قضايا الهوِيَّة لديهم بين وعي "الذات" ووعي "الآخر"، فكذلك كان الأمر لديه، فيتجلى الوعي بـ"الذات" في رحلته من خلال "الهوِيَّة اليهودية الجامعة"، المبنية على وحدة العقيدة ووحدة العرق اليهودي، والاشتراك في نفس التاريخ والآمال والمصير المشترك، وتتجلى كذلك من خلال التفاصيل الدينية، والرؤى الثقافية التي تعبِّر عن هذه الهوِيَّة المشتركة بين كل اليهود المشتتين في أنحاء المعمورة. أما الوعي بـ"الآخر" فتطبعه جدلية العلاقة الحضارية مع الشعوب الأخرى؛ فيتراءى-كما هو الحال لدى الرحالين المسلمين-في صورتين: الأولى هي صورة "الآخر الديني"؛ ويؤثث هذه الصورة في الرحلة "الآخر اليهودي"، و"الآخر غير اليهودي"؛ وهذا الأخير يتراوح بين: "الآخر المسلم" و"الآخر المسيحي" و"الآخر المجوسي". أما الصورة الثانية فهي صورة "الآخر الإثني"، التي يؤثثها "الآخر الزنجي"، و"الآخر التركي البدوي"، و"الآخر الأفلاقي".

5-1-"الذات اليهودية الجامعة":

إن الحوافز الأساسية التي أخرجت بنيامين بن يونة في رحلته؛ سواء للاطلاع على أحوال اليهود في العالم وإحصائهم، أم للبحث عن الأوطان الملائمة والأكثر أمنا، تعبِّر عن إحساس عميق، لدى اليهود عامة وابن يونة خاصة، بالوحدة والأخوة والاشتراك في نفس الآمال والإحساس بنفس الآلام ورجاء تحقق نفس الأحلام، وتضيء بصفة جلية الأبعاد العميقة لـ"المشكلة اليهودية"[25] منذ القدم، خاصة فيما تعلق بقضية "الشتات"[26]، أو قضية إنشاء وطن قومي لليهود[27]. ويطالعنا ابن يونة طوال رحلته بأعداد اليهود في كل مدينة يصلها، ويخبرنا عن مهنهم وأحوالهم، وعن كبرائهم وعلمائهم ومدارسهم وكُنُسهم.

يتجلى في حديث الرحالة، أثناء ذكره لكبراء اليهود في كل مدينة، ذلك التلاحم الهوِيَّاتي الذي يبديه اليهود فيما بينهم؛ يقول ابن يونة عن طائفة من كبراء اليهود بمدينة "لونل" بفرنسا: "وتهتم الطائفة بإيواء طلاب العلم وإعالتهم طيلة مكوثهم بالمدرسة...وهم موصوفون بالعلم والتقوى وإغاثة القريب والبعيد من إخوانهم. حرسهم الله"[28]. وهذا السلوك التضامني زادت في تثبيته حالات الاضطهاد التي تعرض لها اليهود تحت حكم النصارى، في عصر الاحتقان الديني الصليبي في أوروبا، وقد عاين ابن يونة شيئا من ذلك في ألمانيا، فعبَّر عن تلك الحال أصدق تعبير بقوله: "وهم على ما هم فيه من ضيق شديد، يشد بعضهم أزر بعض ويجددون الأمل في أن يوم الخلاص لابد آتٍ مثل رجع البصر. فيتبادلون الرسائل لتقوية العزائم والتمسك بشريعة موسى (ع). وبينهم جماعة يرتدون السواد ويقيمون الصلوات من أجل إخوانهم"[29]. وحتى في القسطنطينية عاين ابن يونة أشكال الاضطهاد الذي يعانيه الدباغين اليهود بسبب السعي في كسب قوتهم: "لأنهم مضطرون إلى طرح المياه القذرة في الأزقة والشوارع المحاذية لمدابغهم، يتلوث بها السابلة من الروم فيزدادون كراهية لهم، فيصبون جام غضبهم على البريء والمذنب من اليهود سواء بسواء، ويضربونهم على رؤوس الأشهاد، ويعاملونهم معاملة قاسية"[30].

وللخلاص من هذا الاضطهاد، لم يكن أمام اليهود إلا ثلاثة طرق يسلكونها؛ أحدها أن يوسع اليهودي ماله ويكتسب ثروة تعينه على كف الأذى عنه، وقد توسلوا في ذلك بالعمل بالتجارة، كما رأينا من قبل، أو احتراف المهن المدرة للأموال؛ كما يخبرنا ابن يونة عن بعض يهود اليونان: "فيها نحو ألفي يهودي. وهم صناع مهرة يتقنون نسج الأقمشة الحرير الملونة الرائجة في أنحاء اليونان"(31). وثاني الطرق التي توسل بها اليهود، هي الحرص على حجز وظيفة لدى الحكام والأمراء، حتى ينالوا بها حظوة وحماية، وأغلب هؤلاء يكونون من العلماء والأطباء؛ وقد ضرب لنا ابن يونة أمثلة عن ذلك فقال: "فيها من العظماء الرئيس أبا ماري بن إسحاق ناظر ديوان الخراج في بلاط الأمير ريمند"(32). كما يذكر نيل أحد شباب اليهود في "روما" الحظوة لدى البابا: "يوجد عدد منهم بين بطانة البابا ألكسندروش. ومن مشاهيرهم الرابيان دانيال ويحيئيل، والأخير شاب حسن المظهر على جانب من الذكاء وحصافة الرأي، كثير التردد على قصر البابا بصفة كونه ناظر الأملاك الخاصة"(33).

وآخر هذه الطرق هو العيش تحت حكم المسلمين وفي ذمتهم. وكان هذا أفضل الحلول، بل منتهى الأمل؛ إذ إن رحالتنا قد خرج في هذا المقصد، كما بينًا سلفًا، ويبدو هذا جليًّا في وصفه لليهود الساكنين في المدن الإسلامية مثل "بغداد"، يقول عنهم: "ويقيم ببغداد نحو (أربعين) ألف يهودي. وهم يعيشون بأمان وعز ورفاهة في ظل أمير المؤمنين الخليفة"(34). ويضرب مثلا آخرا عن مبدأ المواطنة وتكافؤ الحقوق تحت حكم السلطان نور الدين محمود زنكي (ت569هـ)، في مدينة "تدمر" بالشام بقوله: "يقيم بها نحو الألفين من اليهود. وهم أشداء ذوو بأس، يعاونون جيرانهم المسلمين والعرب من أتباع نور الدين في حربهم مع غزاة النصارى"(35).

وبإعجاب كبير بحال اليهود ومكانتهم في ذمة مملكة الإسلام، يستفيض ابن يونة في وصف مراسيم تنصيب كبير اليهود في المنصب المسمى "رأس الجالوت" ومكانته فيقول: "وهو يستمد سلطانه من كتاب عهد يوجه إليه من الخليفة أمير المؤمنين عملا بالشرع المحمدي. وينتقل هذا المنصب إلى ذريته بالوراثة. وعند نصب الرئيس يمنحه الخليفة ختم الرئاسة على أبناء ملته كافة"(36).

5-2-صورة الآخر:

5-2-1-صورة "الآخر الديني":

تراوحت-كما رأينا-صورة "الآخر الديني" في رحلة ابن يونة بين: "الآخر اليهودي"، و"الآخر غير اليهودي".

أ-"الآخر اليهودي":

إن "الآخر اليهودي" في هذه الرحلة ليس له مكانة بين جماعة بني إسرائيل؛ ذلك أن المذهب الذي يعتنقه ابن يونة هو "مذهب الرابيين"، الذي يحتكم إلى التلمود، إضافة إلى شريعة موسى التي جاءت بها التوراة، فالمذاهب اليهودية الأخرى في رأيه هي مذاهب إلحادية. وقد أشار في الرحلة إلى صنفين من "الآخر اليهودي":

أ-أ-"الآخر السامري":

هم فرقة من اليهود قصرت إيمانها على شريعة موسى وكفرت بمن بعده من الأنبياء؛ يذكرهم ابن يونة عندما وصل إلى نابلس بقوله: "وفيها نحو ألف من الكوتيين وليس فيها يهود. أما الكوتيون فهم السامريون. يتبعون أسفار موسى، لا يؤمنون بغيرها. وعندهم الكهنة ممن يدعي الانتساب إلى هارون الكاهن (ع) يعرفون بالهرونية. وهم يعتزلون سائر البشر لا يتزوجون بغير بنات نحلتهم، ويلقنون الناس شعائرهم الخاصة"(37).

ترتسم صورة "الآخر اليهودي" لدى رحالتنا من خلال التمركز الديني الذي يبديه؛ إذ إنه يبدأ بإقصاء هذا الآخر قبل التعريف به؛ فقوله في البدء: "وفيها نحو ألف من الكوتيين وليس فيها يهود"، كافٍ للدلالة على التمركز حول هويَّة دينية مغلقة، يُقصى منها بالضرورة كل من خالف تعاليمها، فمصير هذا "الآخر اليهودي"، إذن، هو إسقاط كل صفات الدونية والضلال على هويَّته المنبوذة؛ وقد تجلى ذلك في شرح ابن يونة لنظام لغتهم بقوله: "ولهم كتابة خاصة بهم ينقصها ثلاثة أحرف، هي الحاء والهاء والعين، يعوضون عنها بحرف الألف. وعلى هذا فليس في لغتهم لفظة الإحسان أو الهدى أو التواضع، كما أنهم لا يستطيعون أن يقولوا إبراهيم أو إسحاق أو يعقوب"[38]، ويخلص ابن يونة، بالتالي، إلى النتيجة الحتمية والمقررة سلفا: "ويمكن البت بأنهم غرباء عن بني إسرائيل"[39].

أ-ب-"الآخر الأبيقوري":

هؤلاء "الأبيقوريون" هم طائفة من اليهود خالفوا مذهب ابن يونة في إحدى أهم أركان العقيدة اليهودية؛ وهي تعظيم يوم السبت؛ "أساس الفكرة الدينية اليهودية بالنسبة ليوم السبت تذكرها التوراة: (وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل)"[40]، ويتخذ ابن يونة من هذه الطائفة موقفا حاسما مشحونا بالتوتر، وقاطعا بضلال هذا "الآخر اليهودي"، حيث يسميهم بلا تردد بـ"الملاحدة"؛ يقول: "جزيرة قبرص: فيها جماعة من اليهود الرابيين، وأخرى من الملاحدة المعروفين بالأبيقوريين. واليهود يحرّمونهم لانتهاكهم حرمة السبت واحتفالهم بيوم الأحد بدلا منه"[41]. ويبدو جليا أن يوم السبت حرمته عظيمة لدى اليهود، لهذا فإن انتهاكه قد كلف هذه الطائفة التكفير والإقصاء من عموم اليهود؛ أي إخراجهم من "الذات اليهودية الجامعة".

ب-"الآخر غير اليهودي":

إضافة إلى الآخر اليهودي، حفلت رحلة ابن يونة بالحديث عن الآخر غير اليهودي؛ فقد رسم الرحالة-تبيانا للعلاقات الحضارية مع الشعوب الأخرى-صورا متباينة لـ"الآخر المسلم" و"الآخر المسيحي" و"الآخر المجوسي"، وذلك تماشيا مع المعطيات التاريخية، والمنعرجات الحاسمة لمصير اليهود في العالم، ومراعاة كذلك للولاء الذمي الذي يضمره الرحالة ويتكشَّف رغم ذلك في لحن حديثه.

ب-أ-"الآخر المسلم":

ترتسم صورة "الآخر المسلم" في رحلة ابن يونة مشرقة ساطعة؛ ذلك أن الرحالة كما رأينا، قد خرج في معاينة مدن مملكة الإسلام لاختيار ملجأ محتمل بها، حين يأتي اليوم العصيب على اليهود في إسبانيا[42]، لذلك كان "الآخر المسلم" بالمشرق الإسلامي، يمثل بالنسبة للرحالة حامي الحمى، ومستودع الأمان، ورمز العزة، والعزاء عن الماضي المفقود في إسبانيا. يقول ابن يونة في وصف الخليفة العباسي محمد المقتفي لأمر الله (531هـ-555هـ) الذي استعاد السلطة السياسية للخلافة، وحدَّ من نفوذ السلاجقة، وأرجع لليهود جميع حقوقهم ومراسيم رؤسائهم وأوقافهم: "وفي هذا القصر يعقد الخليفة العباسي الكبير (الحافظ) مجلس بلاطه. وهو حسن المعاملة لليهود. وفي حاشيته عدد منهم. وهو عليم بمختلف اللغات، عارف بتوراة موسى، يحسن اللغة العبرية قراءة وكتابة. وهو كذلك على جانب عظيم من الصلاح والتقوى يأكل من تعب كفيه. إذ يصنع الشال المقصب ويدمغه بختمه فيبيعه رجال بطانته من السراة والنبلاء فيعود عليه بالأموال الوافرة. وهو موصوف بالتقوى والصدق والاستقامة وطلب الخير لجميع رعيته"[43].

إن وصف ابن يونة لـ"الآخر المسلم" المتمثل في خليفة المسلمين، لا يكاد يختلف عن وصفه لكبراء اليهود الذين ذكرهم في رحلته، والحق أن هذا الوصف هو أجزل وأطرى، فكأنه يصف "الذات" وليس "الآخر"، وهذا حق، لأن اليهود لم تكن لهم دولة خاصة بهم، بل عاشوا أيام عزهم تحت حكم مملكة الإسلام، فهم يشكلون جزءا من هذه المملكة تحت عهد الذمة الذي يعتبر عقد مواطنة؛ لهذا نجد ابن يونة يقرن مشاعر إعجابه بهذا "الآخر المسلم" بكل مكونات "الذات اليهودية"؛ في قوله: "عارف بتوراة موسى"، وقوله: "يحسن اللغة العبرية قراءة وكتابة"، وكأن لسان حاله يخاطب قومه من اليهود: أنْ لا مكان لكم للعيش فيه أفضل من ظل هذا الخليفة، وكان قبل ذلك قد أشاد بعِظم بغداد حضرة خلافته، حينما وصف القسطنطينية بقوله: "ولا يباريها في هذا الباب غير بغداد المدينة الإسلامية الكبرى"[44].

يذكر ابن يونة طوائف "الآخر المسلم"، وهم في حقيقة الأمر محسوبين على هذا "الآخر"، ويعيشون في مملكة الإسلام لكنهم مرقوا من الدين؛ فيورد ذكر "الحشاشين" عند وصوله إلى الشام بقوله: "وبظاهرها تقيم الطائفة المعروفة بالحشيشين. وهم زنادقة لا يؤمنون بدين محمد. ويتبعون تعاليم شيخهم "قرمط" يطيعونه طاعة مطلقة للموت أو للحياة. يأتمر بأمره سكان الجبل ويسمونه "شيخ الحشيشين" أما مقامه فحصن يدعى القدموس أي "قدموث" الواردة في التوراة من أملاك سيحون. وهؤلاء الحشيشون متضامنون مع بعضهم إذعانا لتعاليم شيخهم. حتى إنهم ليضحون بالنفس طوعا ويفتكون بالملوك والأمراء إذا اقتضى"[45].

إن وصف ابن يونة لطائفة الحشاشين بالزندقة يقصيهم من دائرة الإسلام؛ إذ إنه يعمد إلى التأكيد أنهم "لا يؤمنون بدين محمد"، وهو في هذا يبدو أقرب ما يكون إلى "الآخر المسلم"، فكأنه يصدر أحكامه من نفس المرجعية الدينية لهذا "الآخر المسلم"، فهو يؤكد بهذا امتداد هوِيَّته اليهودية مع الهوِيَّة الإسلامية الواسعة، التي شملت المسلمين وأهل الذمة داخل مملكة الإسلام. أما الطائفة الأخرى التي يوردها ابن يونة؛ فهي طائفة "الدروز" التي تقيم بمدينة "صيداء" بالشام، يقول فيهم: "وعلى بعد عشرة أميال منها تقيم طائفة الدروز وهي في خصام مستمر مع أهل صيداء. وهؤلاء لادين يعرف لهم. يعتصمون فوق قمم الجبال وشعاب الصخور ولا يمتون بطاعة لملك أو أمير. ومضاربهم على بعد ثلاثة أيام من جبل حرمون. وهم إباحيون. ينكح الرجل منهم ابنته. ولهم عيد يحتفلون به مرة في العام. يجتمعون به في صعيد واحد، يأكلون ويشربون، فيستبيح بعضهم نساء بعض. ومن عقائدهم السقيمة أن الروح الزكية إذا فارقت الجسم عند الوفاة حلت في جسم طفل آدمي يولد في تلك اللحظة أما الروح الشريرة فتحل في جسم كلب أو حمار وما شاكل"[46].

يلقي ابن يونة على "الآخر الدرزي" كل صفات التدنيس والإثم والدونية، فيخرجه بدوره من دائرة الانتماء إلى "الآخر المسلم" الذي يرتبط معه بعهد الذمة فيكوِّن معه "ذاتًا حضارية"، ليس لهذا "الدرزي" بها مكان طالما أنه اعتنق الإلحاد واقترف الإباحية التي تنحدر به إلى دركات الحيوانية، فتسلبه بالتالي كل صفات الإنسانية؛ لذا نجد ابن يونة يسارع في نعت معتقداتهم، التي ترى حلول الروح الإنسانية في الكلاب والحمير، بأنها "عادات سقيمة"، لا يمكنها أن تكون من عقائد "الآخر المسلم" صاحب الكتاب السماوي.

ب-ب-"الآخر المسيحي":

يختلف الأمر لدى ابن يونة مع "الآخر المسيحي"؛ إذ خلافا لما رأيناه مع "الآخر المسلم"، فإن رحالتنا لا يبدي اهتماما بوصف "بابا روما" أو "بابا القسطنطينية"، كما أبداه في وصف خليفة المسلمين، إلا ذكرا عابرا لا يفي بمقامهما، وخلافا لذلك يعمد ابن يونة إلى وصف الرعايا الروم، بقوله: "والروم في هذه المملكة معروفون

بالغنى والمال الكثير من ذهب وجواهر. يرتدون الحلل الزاهية من حرير مقصَّب بالذهب وسائر المعادن النفيسة، حتى لتحسب الواحد منهم وهو ممتطٍ جواده، أميرا خطيرا"[47]؛ وقد يبدو هذا للوهلة الأولى مدحا وثناءً، لكنه في حقيقة الأمر ينطوي على غمز لا يخفى، واحتقار لهؤلاء الروم الذين يسومون إخوانه من اليهود سوء العذاب، كما ذكرنا سابقا؛ لهذا فإن ابن يونة لا يلبث أن يجهر بذلك الغمز في قوله عنهم: "ويستأجر الروم جماعات من الأقوام الأجنبية المعروفة بالبربر، يستعينون بهم على مناجزة التوغرمين، المعروفين بأبناء الترك. لأن الترف يقعد الأهالي عن الحرب والقتال ويجعلهم واهني العزيمة مثل النساء"[48].

لقد رسم ابن يونة صورة تبخيسية لـ"الآخر المسيحي"، فحتى وإن ذكر الإنجازات المعمارية العظمى كملعب "الإيبودروم"، الذي تقام فيه الألعاب الأولمبية التي يسميها بالألعاب الملكية، إلا أنه يحقِّر من شأن كبراء "الآخر المسيحي"، خاصة الملوك. يقول عن أحد ملوكهم: "وبضواحي رومية بقايا قصر عظيم لطيطس. ويقال إن ثلاثمائة من شيوخ رومية قد أظهروا استياءهم منه لأنه قضى في حصار القدس ثلاث سنوات بدلا من سنتين، وهي المدة التي رسموها له"[49]. وهذا الملك الذي يذكره كان قد حارب اليهود، وفتح القدس سنة 71م، وعاد إلى روما مظفرا[50]؛ لذلك فإنه يذكِّر رحالتنا بالاضطهاد القديم، في ظل الاضطهاد الصليبي الذي يعانيه اليهود في روما، فلا عجب إذن أن نجد ابن يونة يتعمد ذكر إخفاقات هذا "الآخر"، لكيما يحط من شأنه، ويعلي من شأن هويَّته اليهودية، فترتسم بالتالي لـ"الآخر المسيحي" صورة مهتزة، تظهره مثقلا بالإخفاقات، متعجرفا ومغرورا، لا يصنع الأمجاد الحربية إلا بالاستعانة بالمرتزقة، فيستعيض عن ذلك بتنظيم ألعاب ملكية يتبارى فيها النمور والعبيد. إنها إذن صورة تبخيسية تحط من شأن "الآخر المسيحي"، وتعبير عن ردة فعل إزاء ما يلاقيه اليهود من اضطهاد في ظل هذه الممالك المسيحية.

ب-ج-"الآخر المجوسي":

إضافة إلى "الآخر المسلم" و"الآخر المسيحي"، يورد ابن يونة في رحلته ذكر "الآخر المجوسي". وهؤلاء المجوس هم عُبَّاد النار والكواكب، وقد لقيهم في أقاليم الهند، حينما وصل إلى مدينة "خولام" التي وصفها بأنها "أول بلاد المجوس عُبَّاد الشمس والكواكب"[51]، يقول عنهم: "وأهل هذه المدينة كفار، يعبدون الشمس والنار. فتراهم عند مطلع الفجر يهرعون إلى معابدهم، وهي على مسافة نصف ميل من البلد، فيستقبلون الشمس المشرقة سجدا. وعندهم في معابدهم صنم على شكل قرص الشمس يدور بحيلة سحرية، فيسمع لدورانه ضجة عالية، ويخرون له على وجوههم ويحرقون أمامه البخور. هذه هي عاداتهم السقيمة، وبئس العادة"[52].

ينطلق ابن يونة في حكمه على "الآخر" من منظومة أحكامه القيمية، التي يوجهها الوعي الثقافي الديني، وهو كنظرائه من الرحالة المسلمين موَحِّد لله، ليس بوسعه قبول فكرة أن الشمس إله يُعبَد من دون الله؛ لذلك نراه يبادر في أول حديثه عن "الآخر المجوسي"، بإصدار حكم القيمة الذي ينص على أنهم كفار، ثم يختم حديثه عنهم بتسفيه معتقداتهم وإبداء النفور منها بقوله: "هذه هي عاداتهم السقيمة، وبئس العادة".

إن ابن يونة رغم حكمه على "الآخر المجوسي" بالكفر، لا يبخسه مزاياه وخصاله الحسنة؛ فهؤلاء المجوس قوم قد شُهِروا بالأمانة، يقول عنهم: "لكنهم مشهورون بالصدق والأمانة في الأخذ والعطاء. فإذا دخلت سفينة فرضة المدينة طلع إليها ثلاثة من كتبة السلطان، وسجلوا أسماء تجارها في ثبت يعرضونه على السلطان. ثم يصدر أمان السلطان للتجار، فيتركون بضاعتهم في العراء، لا خوف عليها ولا حاجة بهم إلى من يحرسها...وهذه عادة مستحبة سارية في جميع أنحاء المملكة"[53]. لكن ابن يونة رغم ذلك يلح على احتقار معتقداتهم الدينية،

ليظهر تعالي هويَّته الدينية، فيغمز غمزه الذي عَوَّدنا عليه، حين يذكر تهافت كبراء "الآخر المجوسي" للتضحية بأنفسهم حرقا بالنار، فيقول عنهم: "فيُدخِلون في روع أشياعهم أن دينهم هذا يفوق كل معتقد آخر في العالم أجمع"[54].

5-2-2-"صورة الآخر الإثني":

استكمالا لتتبع النظرة المزدوجة التي خضع لها "الآخر" في رحلة بنيامين بن يونة التطيلي، وبعد أن رأينا "صورة الآخر الديني"، نصل الآن إلى عرض "صورة الآخر الإثني". لقد تنوعت صورة هذا الآخر حسب الشعوب التي رآها رحالتنا، وهم على ذلك: "الآخر الأَسْود"، و"الآخر التركي البدوي"، و"الآخر الأفلاقي".

أ-"الآخر الأَسْود":

يفرق ابن يونة بين نوعين من السود: السود اليهود، والسود الزنوج؛ لذلك فإن رؤيته إليهم تختلف، وذلك حسب اقتراب هذا "الآخر الأَسْود" من "دائرة الائتلاف" أو "دائرة الاختلاف"، التي تشكل وعي الرحالة الثقافي، كما سنرى:

أ-أ-"الآخر الأَسْود اليهودي":

ذكر ابن يونة هذا "الآخر الأَسْود اليهودي"، عندما وصل إلى مدينة "خولام"، لكن هؤلاء السود من اليهود، يقول فيهم: "وفي هذه المدينة عدد زهيد من اليهود لا يربو عددهم على المائة. وهم سود البشرة مثل غيرهم من السكان، لكنهم أتقياء، يعرفون شريعة موسى وكتب الأنبياء، وبعض التلمود والناموس"[55]. ويبدو واضحا من كلام ابن يونة أنه يفضلهم على بقية السود من أهل "خولام" الذين هم من المجوس. فـ"الآخر الأَسْود اليهودي"، إذن، يرتبط مع "الذات اليهودية" في الديانة الواحدة؛ لهذا نجده لا يتورع في إدخاله في "دائرة الائتلاف"، لمعرفته شريعة موسى، بغض النظر عن لونه، وهذا خلافا للرحالة المسلمين الذين احتقر أغلبهم "الآخر الأَسْود المسلم".

أ-ب-"الآخر الأَسْود الزنجي":

يختلف "الآخر الأَسْود الزنجي" عن "الآخر الأَسْود اليهودي"؛ ذلك أن الأول كان موضوعا للتنميط الذي فرضته عليه المرويات الثقافية، منذ الرواية التوراتية عن نوح (عليه السلام) [56]، إلى نظرية الأقاليم السبعة اليونانية التي جاء بها بطلميوس القلوذي[57]. لذلك لم تختلف نظرة ابن يونة إلى هذا "الآخر الأَسْود الزنجي" عن نظرة بقية الرحالة الذين ذكروهم، يقول عنهم حينما وصل إلى مدينة "أسوان" على شواطئ نهر النيل: "ومخرج هذا النهر بلاد يسكنها الزنوج، عليهم ملك يدعى "سلطان الحبش". وهم متوحشون يشبهون الحيوان بجميع الوجوه. فطعامهم الحشائش النامية على شاطئ النيل ومناخهم شديد الحر. لذا يعيشون في الأراضي المكشوفة، عراة الأبدان. وعاداتهم مستقبحة تخالف سائر أحوال البشر. فهم يطأون من النساء أخواتهم أو أية امرأة تتيسر لهم"[58].

لا يشذ ابن يونة عن القاعدة العامة في رسم الصورة النمطية لـ"الآخر الأَسْود الزنجي"، التي ارتبطت-تحت ثقل المرويات الثقافية-بالتوحش والبهائمية. وزيادة في تبرير إخراج "الآخر الأَسْود الزنجي" من "دائرة الائتلاف" يركز ابن يونة على ذكر أحوالهم المستقبحة، التي تخالف الوعي الثقافي الديني، الموجه لمنظومة أحكامه القيمية؛ فالزنوج عموما "ضعاف القوى العاقلة، لا يشعرون بعزة النفس وإباء الضيم، فهون عليهم والحالة

هذه الاستسلام للخرافة والرضوخ لكل عبودية"[59]، وهذا ما يؤكده ابن يونة، عندما يتعجب من خروج المصريين في صيدهم لاستعبادهم: "وأهل أسوان يخرجون لصيد العبيد في أراضي هؤلاء الزنج. وهم إذا خرجوا حملوا معهم الخبز والزبيب والتين. فيجتذبون الزنوج ويرغبونهم حتى يتبعوهم، ثم يبيعونهم في أسواق النخاسة بمصر وما جاورها من البلدان"[60].

والغريب أن هذه الصورة النمطية، التي تربط "الآخر الأَسْود الزنجي" بالحيوانية، يعتز بها هذا "الآخر الأَسْود الزنجي"، وذلك فيما يرويه رحالة آخر زار أصقاعا إفريقية في القرن العشرين، يقول: "من ذلك ما يعتقده بعض قبائل الزنج من كونهم متحدرين من الحيوانات. فالبامبرا مثلا يعتقدون بأنهم متسلسلون من (البامبا) أي التمساح. والمالنكه من (ماله) أي فرس البحر والسامنكه من (ساما) أي الفيل. والسَّاموخو من (السَّا) أي الأفعى...ويَدُلُّك على مبلغ تمسكهم بهذه العقيدة ما قد تسمعه من بعضهم عندما يريدون التعرف على بعض، فهم لا يسألون مثلا: ما اسمك؟ ومن أي بلد أنت؟ حتى يضيفوا إليها في الآخر: وإلى أي الأسر الحيوانية تنتسب؟"[61].

ب-"الآخر التركي البدوي":

يورد بنيامين في رحلته صنفا ثانيا من "الآخر الإثني"، يمثل أحد الشعوب التي رآها بمدينة "نيسابور" من بلاد المسلمين بفارس، أثناء تتبعه مواطن إخوانه من اليهود؛ ذلك هو "الآخر التركي البدوي"، يقول عنهم: "ولهؤلاء اليهود أحلاف من القبائل التي يسميها المسلمون (كفار الترك). وهم جماعات لا حصر لها من البدو. يعيشون في الصحراء ويعبدون الهواء، وطعامهم اللحم النيء، يأكلونه من غير شواء. ولا يأكلون الخبز ولا يعرفون الخمر. وفي موضع الأنف في وجوههم ثقبان صغيران يتنسمون بهما الهواء. وهم إذا أكلوا لحما لا يفرقون بين الطاهر وغير الطاهر من الحيوان. وعلاقتهم باليهود يسودها الصفاء والوئام"[62].

وواضح أن الرحالة يدخل هذا الآخر في خانة "العجيب"، بسبب خِلقته، ونمط غذائه، كما أنه يحكم عليه بالكفر لأن المسلمين قد حكموا بذلك عليه، فهو قد جمع كل مقومات الدونية والدنس، لكن ابن يونة رغم ذلك لا يقصيه من "دائرة الائتلاف"، وذلك لأن إخوانه من اليهود يقيمون معه حِلفًا؛ فهو بهذا جدير بأن يوفر جوارا آمنا لليهود الآخرين، إذا دعت الضرورة. فدائرة الائتلاف لدى رحالتنا، إذن، تحتكم-إضافة إلى مبدأ الدين-إلى مبدأ المصلحة؛ فأينما يكون مأمن اليهودي فهناك وطنه، لأن دينه متعلق ببقائه آمنا.

ج -"الآخر الأفلاقي":

ولا يختلف الأمر مع "الآخر الأفلاقي"، الذي عاينه ابن يونة في مدينة "شينون بوتامس"، يقول عنهم: "وعند هذه المدينة تبدأ حدود أفلاجونية المأهولة بقوم يُعرَفون بالأفلاق. وهم خفاف الحركة. الواحد منهم أشبه بالظبي، ينحدرون من أعالي الجبال للغزو والسلب، لا يجرؤ أحد على مقاومتهم ولا طاقة لملك على إخضاعهم. لا يعترفون بالنصرانية. لهم أسماء شبيهة باليهودية، ويعدون اليهود إخوانا لهم. فإذا عثروا على يهودي في أثناء غزواتهم اكتفوا باستلاب ماله دون قتله كما يفعلون فيما لو كان روميا. وهم ملاحدة لا دين لهم"[63].

فرغم أن ابن يونة يحكم أن ممثلي هذا "الآخر الأفلاقي" ملحدون ولا دين لهم، إلا أنه يدخلهم في "دائرة الائتلاف"، طالما أنهم "يعدون اليهود إخوانا لهم"، وينتقمون من غريمهم الرومي النصراني. فاليهودي يأمن، إذن، على نفسه مع "الآخر الأفلاقي"، فتنقلب تلك الصفات التي ينسبها إليه إلى مزايا تعلي من شأنه؛ فالسلب يصبح فروسية، وعجز الملوك عن إخضاعهم يصبح مَنَعة وعزة، وعدم اعترافهم بالنصرانية يعد تجاوبا مع

"الذات اليهودية"، لذلك يُسبغ عليه ابن يونة مسحة من هويَّته اليهودية، فنلقاه بعد ذلك مباشرة يقول: "لهم أسماء شبيهة باليهودية، ويعدون اليهود إخوانا لهم"؛ فكأن لسان حاله يقول: هذه صفات اليهود فلم يقنع "الآخر الأفلاقي" بأخذها فقط، بل صاغ اسمه على أسماء اليهود، وعقد رباطا من الأخوة معهم.

خاتمة:

شكلت رحلات الأندلسيين قديما مجالا واسعا ارتسمت فيه تفاصيل الرؤية إلى "الأنا" وإلى "الآخر" وإلى العلاقات التي تربطهما، سواء كانت علاقات انجذاب أم علاقات تنافر وصدام؛ فمنذ رحلة ابن جبير الأندلسي في أوج الصراع الإسلامي المسيحي، إلى رحلة ابن يونة التطيلي إبان سُعار التعميد القسري للمسلمين واليهود في الأندلس، إلى فاجعة سقوط غرناطة، آخر المدن الأندلسية، وما تلاها من شتات واضطهاد لسكان الأندلس، كانت رؤية الرحالين الأندلسيين إلى "الأنا" بمختلف مكوناتها وإلى "الآخر"، تصدر عن تصورات وأحكام قيمية. وقد تجلى لنا من خلال هذا البحث أن العلاقات الحضارية بين "الأنا" و"الآخر" قد تشابكت في رحلة الرابي بنيامين بن يونة التطيلي؛ وفق نظرة ثقافية مزدوجة، ألا وهي: النظرة الدينية التقليدية وما يتصل بها من صور لدين "الأنا" (بمختلف مذاهبه) ودين "الآخر"، وكذلك النظرة الإثنية التفضيلية للأجناس بعضها على بعض (النظرة إلى السود مثلا)، وقد بدا واضحا من خلال الرحلة أن العلاقات الحضارية مع "الآخر المسلم" كانت أقوى وأمتن؛ نظرا للرفاه الذي عاشه اليهود تحت حكم المسلمين في ذمة مملكة الإسلام.

الإحالات والهوامش:

(1) -عن مفهوم مملكة الإسلام ينظر: عبد الحق بلقيدوم: مملكة الإسلام من خلال الأدب الجغرافي العربي، مجلة أنفاس الإلكترونية: www.anfasse.org، بتاريخ: 24 فيفري 2017.

(2) -ينظر: بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2003، ص237.

(3) -محمد بن محمد بن عبد الرزاق مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي، مراجعة: أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي وخالد عبد الكريم جمعة، الجزء الخامس والثلاثون، الكويت، ط1، 2001، ص73.

(4) -خليل حسن الزركاني: النشاطات التجارية في الخليج من خلال رحلة بنيامين التطيلي: http://zarkan56.blogspot.com/2011/01/blog-post_191.html، بتاريخ: 2015/09/23.

(5) -بنيامين بن يونة التطيلي: رحلة بنيامين التطيلي، ترجمها عن النص العبري وعلق على حواشيها وكتب ملاحقها: عزرا حداد، دراسة وتقديم: عبد الرحمان عبد الله الشيخ، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 2002، ص179.

(6) -فايزة بنت عبد الله الحسَّاني: تاريخ مدينة سرقسطة منذ عصر الخلافة الأموية حتى سقوطها 316هـ-512هـ/928م-1118م دراسة سياسية وحضارية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف: أ/د سعد عبد الله البشري، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، 2008-2009، ص09.

(7) -خالد يونس الخالدي: اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس، "شبكة فلسطين للحوار": www.paldf.net/forum/showthread.php، بتاريخ: 2011/05/19.

(8) -عزرا حداد: المصدر السابق، ص127.

(9) -المصدر نفسه، ص127.

(10) -أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه: المسالك والممالك (غير محققة)، مطبعة بريل المسيحية، ليدن، 1889، ص154.

(11) -خليل حسن الزركاني: المرجع السابق.

(12) -صلاح الدين المنجد: المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى، دار الكتاب الجديد، بيروت، ص28.

(13) -عن نمط المسالك والممالك ينظر: عبد الحق بلقيدوم: الأدب الجغرافي العربي، المفهوم، الأنماط والتطور، مجلة أنفاس الإلكترونية: www.anfasse.org، بتاريخ: 10 فيفري 2017.

(14) -بنيامين بن يونة التطيلي: المصدر السابق، ص364.

(15) -عبد الرحمان علي الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92-897هـ (711-1492م)، دار القلم، دمشق/بيروت، ط2، 1981، ص444.

(16) -راغب السرجاني: قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 2011، ص624.

(17) -جورج سيرافين كولان: الأندلس، ترجمة: إبراهيم خورشيد؛ عبد الحميد يونس؛ حسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1980، ص138.

(18) -أمين معلوف: الحروب الصليبية كما رآها العرب، ترجمة: عفيف دمشقية، دار الفارابي، بيروت، ط2، 1998، ص294.

(19) -عبد الرحمان عبد الله الشيخ: رحلة ابن يونة التطيلي، المصدر السابق، ص244. ويؤكد هذا باحث مصري يهودي الأصل بقوله: "فقد أنقذ الفاتحون المسلمون آلافا من اليهود كانوا منتشرين في أقاليم الدولة الرومية، وكانوا يقاسون ألوانا من العذاب". ينظر: إسرائيل ولفنسون (أبو ذؤيب): تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مطبعة الاعتماد، مصر، 1927، الصفحة "ط" من المقدمة.

(20) -عادل سعيد بشتاوي: الأندلسيون المواركة، دار الكتب، القاهرة، ط1، 1983، ص16.

(21) -ينظر رحلة إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي إلى بلاد الجلالقة، الواردة في كتاب أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري: المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص913.

(22) -ينظر وصفه لمغاص اللؤلؤ في الصفحة 339 مقارنة مع وصف ابن جبير له. ينظر: محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي: تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، حققها: علي كنعان، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ط1، 2008، ص51.

(23) -عبد الوهاب المسيري: من هو اليهودي؟!، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2002، ص09. وهذا التعريف يعاكس التعريف الذي يورده جلعاد عتسمون؛ الذي يرى أن الهويَّة اليهودية "تشير إلى ثقافة ذات أوجه كثيرة، وجماعات متميزة عدة"؛ ينظر كتابه: من التائه؛ دراسة في سياسة الهوية اليهودية، ترجمة: حزامة حبايب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2012، ص213.

(24) -بنيامين بن يونة التطيلي: المصدر نفسه، ص178.

(25) -ينظر: مالك بن نبي: في مهب المعركة؛ إرهاصات ثورة، دار الفكر، دمشق، ط3، 2000، ص104.

(26) -ينظر: أحمد شلبي: مقارنة الأديان؛ اليهودية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط8، 1988، ص91.

(27) -ينظر قصة فتنة اليهودي "داود بن الروحي" الذي قام بثورة في بلاد المسلمين من أرض فارس: "فدخل في روعه أن يعلن العصيان على ملك العجم، ويجمع حوله اليهود القاطنين في جبال حبتون ومقاتلة النصارى المتمكنين من أورشليم والاستيلاء عليها وطردهم منها"، وسمى نفسه: "ملك اليهود"، فبعث له كبير اليهود بكتاب، بأمر من الخليفة جاء فيه: "ليكن معلوما لديك أن

موعد ظهور المسيح لم يحن بعد، وليس لدينا البراهين عن قرب ظهوره، وهذا الأمر لا يتأتى بالعنف ولا يتم بشق عصا الطاعة. وإنا لمطالبوك بالكف عما أنت فيه، وإلا حرمناك من جماعة بني إسرائيل". رحلة بن يونة التطيلي، ص330، 326.

(28) -ابن يونة التطيلي: المصدر السابق، ص188.

(29) -المصدر نفسه، ص363.

(30) -المصدر نفسه، ص224.

(31) -المصدر نفسه، ص212.

(32) -المصدر نفسه، ص190.

(33) -المصدر نفسه، ص196.

(34) -المصدر السابق، ص299. يرسل ابن يونة بعض الإشارات في رحلته توحي-كما رأينا-ببقائه على الوفاء للعهد الإسلامي؛ كعبارة: "في ظل أمير المؤمنين الخليفة"، وفيها من الشحنات الدلالية ما يقطع الشك باليقين.

(35) -ابن يونة: المصدر نفسه، ص277.

(36) -المصدر نفسه، ص301.

(37) -ابن يونة: المصدر السابق، ص244.

(38) -المصدر نفسه، ص245.

(39) -المصدر نفسه، ص245.

(40) -جودت السعد: أوهام التاريخ اليهودي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1998، ص186.

(41) -ابن يونة: المصدر نفسه، ص228.

(42) -المصدر نفسه، ص294.

(43) -وقد جاء ذلك اليوم فعلا سنة 1499م: "الحدث الثاني الذي وقع في هذه السنة الحاسمة كان في الحادي والثلاثين من آذار عندما وقَّع فرديناند وإيزابيلا مرسوم الطرد الذي أصدراه لتخليص إسبانيا من اليهود الذين خُيِّروا بين قبول التعميد أو الطرد. كان يهود كثير قد تحولوا إلى المسيحية، وبقوا في إسبانيا بسبب تعلقهم الشديد بها. بينما عَبَر نحو/80.000/ يهودي الحدود إلى البرتغال، وهرب /50.000/ إلى الإمبراطورية العثمانية الجديدة، حيث لاقوا ترحيبا حارا"، ينظر: كارين آرمسترونغ: النزعات الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام، ترجمة: محمد الجورا، دار الكلمة للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2005، ص17.

(44) -المصدر السابق، ص220.

(45) -المصدر نفسه، ص232.

(46) -ابن يونة: المصدر نفسه، ص236.

(47) -المصدر السابق، ص222.

(48) -المصدر نفسه، ص223.

(49) -المصدر نفسه، ص198.

(50) -المصدر نفسه، ص198.

(51) -المصدر السابق، ص339.

(52) -المصدر نفسه، ص341.

(53) -المصدر نفسه، ص340.

(54) -المصدر نفسه، ص343.

(55) -المصدر السابق، ص342.

(56) -عن هذه الرواية ينظر: عبد الحق بلقيدوم: صورة الآخر في الثقافة العربية الإسلامية، مجلة التواصل الأدبي، منشورات مخبر الأدب العام والمقارن، جامعة باجي مختار، عنابة، العدد التاسع، ديسمبر 2017، ص243.

(57) -عن نظرية الأقاليم السبعة ينظر: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري: كتاب الجغرافية، اعتناء وتحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد (مصر)، ص10.

(58) -ابن يونة: المصدر نفسه، ص346.

(59) -عبد الله حشيمة: رحلة في بلاد الزنوج؛ ثمانية أشهر في إفريقيا الغربية 1929، تحرير وتقديم: محسن خالد، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ط1، 2006، ص77.

(60) -ابن يونة: المصدر نفسه، ص346.

(61) -عبد الله حشيمة: المرجع السابق، ص78.

(62) -ابن يونة: المصدر السابق، ص334.

(63) -المصدر نفسه، ص214.

قائمة المصادر والمراجع:

أ-المصادر:

(1) -ابن يونة، بنيامين التطيلي: رحلة بنيامين التطيلي، ترجمها عن النص العبري وعلق على حواشيها وكتب ملاحقها: عزرا حداد، دراسة: عبد الرحمان عبد الله الشيخ، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 2002.

ب-المراجع:

1-المراجع العربية:

(1) -ابن جبير، محمد بن أحمد الأندلسي: تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، حققها وقدم لها: علي كنعان، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ط1، 2008.

(2) -ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله: المسالك والممالك (غير محققة)، مطبعة بريل المسيحية، ليدن، 1889.

(3) -البكري، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد: المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

(4) -التليسي، بشير رمضان: الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2003.

(5) -الحجي، عبد الرحمان علي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92-897هـ (711-1492م)، دار القلم، دمشق/بيروت، ط2، 1981.

(6) -الحسَّاني، فايزة بنت عبد الله: تاريخ مدينة سرقسطة منذ عصر الخلافة الأموية حتى سقوطها 316هـ-512هـ/928م-1118م دراسة سياسية وحضارية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف: أ/د سعد عبد الله البشري، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، 2008-2009.

(7) -الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: كتاب الجغرافية، اعتناء وتحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد (مصر).

(8) -السرجاني، راغب: قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، مؤسسة اقرأ للنشر، القاهرة، ط1، 2011.

(9) -السعد، جودت: أوهام التاريخ اليهودي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1998.

(10) -المسيري، عبد الوهاب: من هو اليهودي؟!، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2002.

(11) -المنجد، صلاح الدين: المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى، دار الكتاب الجديد، بيروت.

(12) -بشتاوي، عادل سعيد: الأندلسيون المواركة، دار الكتب، القاهرة، ط1، 1983.

(13) -بن نبي، مالك: في مهب المعركة؛ إرهاصات ثورة، دار الفكر، دمشق، ط3، 2000.

(14) -حشيمة، عبد الله: رحلة في بلاد الزنوج؛ ثمانية أشهر في إفريقيا الغربية 1929، تحرير وتقديم: محسن خالد، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ط1، 2006.

(15) -شلبي، أحمد: مقارنة الأديان؛ اليهودية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط8، 1988.

(16) -ولفنسون، إسرائيل (أبو ذؤيب): تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مطبعة الاعتماد، مصر، 1927.

2-المراجع المترجمة:

(1) -آرمسترونغ، كارين: النزعات الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام، ترجمة: محمد الجورا، دار الكلمة للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2005.

(2) -عتسمون، جلعاد: من التائه؛ دراسة في سياسة الهوية اليهودية، ترجمة: حزامة حبايب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2012.

(3) -كولان، جورج سيرافين: الأندلس، ترجمة: إبراهيم خورشيد؛ عبد الحميد يونس؛ حسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1980.

(4) -معلوف، أمين: الحروب الصليبية كما رآها العرب، ترجمة: عفيف دمشقية، دار الفارابي، بيروت، 1998.

3-المعاجم:

(1) -الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي، مراجعة: أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي وخالد عبد الكريم جمعة، الجزء الخامس والثلاثون، الكويت، ط1، 2001.

4-المجلات والدوريات:

(1) -بلقيدوم، عبد الحق: صورة الآخر في الثقافة العربية الإسلامية، مجلة التواصل الأدبي، منشورات مخبر الأدب العام والمقارن، جامعة باجي مختار، عنابة، العدد التاسع، ديسمبر 2017.

5-شبكة الإنترنت:

(1) -الخالدي، خالد يونس: اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس، "شبكة فلسطين للحوار": www.paldf.net/forum/showthread.php، بتاريخ: 2011/05/19.

(2) -الزركاني، خليل حسن: النشاطات التجارية في الخليج من خلال رحلة بنيامين التطيلي: http://zarkan56.blogspot.com/2011/01/blog-post_191.html، بتاريخ: 2015/09/23.

(3) -بلقيدوم، عبد الحق: الأدب الجغرافي العربي، المفهوم، الأنماط والتطور، مجلة أنفاس الإلكترونية: www.anfasse.org، بتاريخ: 10 فيفري 2017.

(4) -بلقيدوم، عبد الحق: مملكة الإسلام من خلال الأدب الجغرافي العربي، مجلة أنفاس الإلكترونية: www.anfasse.org، بتاريخ: 24 فيفري 2017.